# جبل الدحدوح !

قصة : د. سيد شعبان

وجدت قلمي ملقى على الأرض، تناثرت أشياء كثيرة، تساقطت أوراق الأشجار، كان الخريف قاسيا، لص يحاول سرقة البيت الكبير، لافرق بينهما، هذا يحرق غزة مثله؛ أعود باحثا عن دفتر أيامي، تلك ممحاتي وهذه صورة محاطة بشريط أسود علامة الحداد، هرعت إلى قناة الأخبار، أخاف من الأنباء العاجلة، أراه يلملم بقايا حمزة، أهو ابن عبد المطلب؟

أخط بعضا من سرد أليم، وهل يغني بكاء؟

تهرب الحروف، تختلط المفردات فتصاب الجمل بالحيرة، كأنهم وحدهم يمسكون بمفاتيح المدينة العتيقة،

ثلاثون الفا وماتزال السنابل تحت مجنزرة القتلة، أي عالم هذا الذي فقد صوابه!

يقهقه حيي بن أخطب مرتديا وجه أفيخاي، في كل لحظة يقذفون بحمم من النار، لم تعد العصافير تطير، ذبلت الحياة في بلاد الزعتر والياسمين.

تسقط دموعي، يحتضن حمزة، بواكيه كثر، ياللفاجعة أي رجل هو؟

تناقلت الناس أن جبل أحد صار هنا: رجالا وصغارا وأمهات.

تساندت على الجدار، دارت بي الأرض، إنهم يريدون وطنا، خيمة، في تلك البلاد الحياة باللون الأحمر.

يمتلك صوت الحقيقة، ذلك الجرو يتوعد الأسود، حاولت جاهدا ان أمسك بقامي، سحت عيناي بالدمع، يثملون حين تقرع النواقيس في عوالم تنتشي بالقتل.

يخبرني أن جده أبا الدحداح نذر نخيله لله، أما هو فقدم حمزة وكل أهله لرب البيت، مشاعل ذبالتها أقلام وأصوات وصور وألوان، يهدني الألم، آوي إلى فراشي، يهرب النوم، يزورني طيفه، يقبل أباه، يناديه :

سبقتك يا أبي، فالجنة مع الأحبة تحلو!

وكم من جنان فساح لأبي الدحداح!

ارتوت الأرض ببذور الرياحين، تنبت الحقول رجالا، يتجاوب صدى قصيدة نزار:

يا أطفال غزة علمونا!

لكنهم يا نزار لم يكفروا بالأفلام والدفاتر، يرسمون لوحة أكثر واقعية، إنه رسم بلون الحقيقة، في اليوم التالي ستعود أزهار الربيع، ليتهم يدعون الطيور تغني.

يقول:

لاتصالح!

زمن الهوان، أتذكر معلمي في حصة التاريخ حكي لي عن ضياع الأندلس، عن أبي عبد الله الصغير، يوم بكى كالنساء، عن حروب الأخوة الأعداء، كم جلب الحقد!

هل يحيي المسيح القتلى؟

مضى زمن الأنبياء،.

في تلك البلاد يتناسل أحفاد الصحابة، امح دمعتي، لا يليق بالرجل أن يبكي في زمن الإباء، أتذكر أبي كان يكره المذلة، يعاند الموت، يحب الحياة.

يجري الهر عاريا، يتقافز قردا، تقذفه شيرين بالحجارة، تدق عقارب الساعة معلنة منتصف الليل، يصلي لربه، صامدافالجبل لا تهزه الريح، ألم أقل لكم إنه الدحدوح!

تقزمت كل تلك الأبواق، لم تعد العصافير تأوي إلى قصور تسكنها الغربان، فيما مضى كانت الخنساء تندب صخرا، وها أنت يادحدوح تنشد نصرا، هكذا كتت فتاة على لافتة في عاصمة النور، فمدننا أصابها الخرس إلا من مهرجانات الترف!